﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ٩٧﴾

[الأعراف: 97]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إنكارُ الله عليهم في جعلِهِمُ السّرّاءَ والضّرّاءَ سببًا للأمن من مَكرِهِ

لَمّا كانوا قد ضَلّوا ضلالًا بعيدًا في غَلَطِهِم في جَعلِهِمُ السَّرّاءَ والضَّرّاءَ سبَبًا للأمنِ مِن مَكرِ الله، قالَ مُنكِرًا عليهم أمنَهم، عاطِفًا لَهُ على ﴿كَذَّبُواْ﴾؛ لأنَّهُ سببُ الغَلَطِ، وهو سَبَبُ الأمنِ، فقالَ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾[1]، فتجدُ فعلَ الإنكارِ فيهم، والجحودِ، وكفرانِ النّعمة ذَنبًا عَظيمًا يؤدّي إلى الخسران، وذلك يستلزمُ التّذكيرَ، ومزيدَ الوعظ والتّنبيه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَفَأَمِنَ﴾: معنى التّصديقِ أصل في (الإيمان)، ونشيرُ هنا إلى معانٍ أُخر مشتقّةٍ من دلالة أصلٍ هي: الأمانةُ الّتي هي ضدُّ الخيانة، ومعناها: سكونُ القلب[2]، وسكونُ القلب نقيضُ الخوف؛ ولذلك قيل: الأمنُ ضدُّ الخوف[3]، فأصلُ الأمنِ طمأنينةُ النّفسِ وزوالُ الخوفِ بسكون القلب، ويأتي غيرَ متعدٍّ، ومعناه: صار ذا أمن[4]، وهو معنى اللّفظة في الآية الكريمة.

2) ﴿بَيَٰتًا﴾: (بَيَتَ) الباء والياء والتّاءُ أصلٌ واحدٌ، وهو المأوى والمآبُ ومَجمَعُ الشّمل[5]. وتجنحُ هذه المعاني إلى الليل بوصفه مألَفَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/12.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أمن).
(3) الفراهيديّ، العين: (أمن).
(4) الرّاغب، المفردات: (أمن).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بيت).

المآبِ، والتّجمعِ، والإيواء. وقد سُمّي البيتُ بَيْتًا؛ لأنّه يُباتُ فيهِ[1]، فأصلُ البيت: مأوى الإنسانِ في اللّيل[2]، ومن هنا ارتبطَ لفظُ (البيات) باللّيل، فالبيتوتة: الدُّخولُ في اللّيل، وبيّتوا هذا العَمَلَ بَياتًا، أي: عملوه ليلًا، تقول: بِتُّ أصنَعُ كذا؛ إذا كان باللّيل، وظَلِلتُ أصنع كذا؛ إذا كان بالنَّهار، وأتاهُم الأمرُ بَياتًا، أي: أتاهم في جَوفِ اللّيلِ[3]، وباتَ الرّجلُ؛ إذا سَهِرَ اللّيلَ كُلَّه في طاعَةٍ أو مَعصيةٍ، وكلُّ ما فُكِّر فيهِ أو خيضَ فيه بلَيل؛ فقد بُيِّتَ، ويُقال: هذا أمرٌ دُبِّر بلَيل وبُيِّتَ بلَيل بمَعنى واحِد. ومنه قَولُ الله جلّ وعزّ: ﴿إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [النّساء: 108][4]، فالبياتُ والتّبيُّتُ: قصدُ العدوِّ ليلًا[5]، وقصدُ العذاب ليلًا هو معنى البيات في الآية الكريمة.

3) ﴿نَآئِمُونَ﴾: (نوم) النّون والواو والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جمودٍ، وسكونِ حركةٍ[6]، ويُقال: نام الرّجلُ يَنام نَومًا فهو نائمٌ؛ إذا رَقَد[7]. وكُلُّ شَيءٍ سَكن فقد نام[8]، واستَنامَ، أي: سكن، واطمأنّ، ونامَتِ السّوقُ: كسَدت[9]. وأُطلِقَ النّوم: على النُّعاس والاضطجاع[10]، فالنّوم: هو استرخاءُ أعصاب الدّماغ برطوبات البخار الصّاعد إليه، وقيل: هو أن يتوفّى اللّهُ النّفسَ من غير موتٍ، وقيل: النّوم موتٌ خفيفٌ، والموتُ نومٌ ثقيلٌ[11]، وكلُّ شيءٍ قد سكن فقد نام ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا﴾ [النّبأ: 9]، وليس في القرآن منَ التّركيب إلّا النّومُ بمعناه المعروف[12]، وبه تُفسَّرُ اللّفظةُ في الآية الكريمة.

❁ المعنى الإجْماليُّ:

أيظنُّ أهلُ القُرى أنّهم في منجاةٍ ومأمنٍ من عذاب الله؟ وفي هذا استنكارٌ، وتعجيبٌ

(1) الأزهريّ، تّهذيب اللّغة: (بيت).
(2) الرّاغب، المفردات: (بيت).
(3) الفراهيديّ، العين: (بيت).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (بيت).
(5) الرّاغب، المفردات: (بيت).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نوم).
(7) الفراهيديّ، العين: (نوم).
(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (نوم).
(9) الجوهريّ، الصّحاح: (نوم).
(10) ابن منظور، لسان العرب: (نوم).
(11) الرّاغب، المفردات: (نوم).
(12) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نوم).

بحالهم من أمْنِهِمُ العقابَ، وتقريعٌ لهم، وتوبيخٌ على اطمئنانهم منَ العذاب، وعَدَمِ اعتبارهم بما حلَّ بمَن قبلهم، وجَهْلِهِمْ، والإخْلادِ إلى الدَّعةِ، والرّاحةِ، والاستغراقِ في النّوم، من غير وازعِ خيرٍ يؤزُّ، أو خشيةٍ تُخبِتُ، أو نفسٍ لوّامةٍ توقظُ منَ الغفلة.

التّحذيرُ منَ الغفلة، والرُّكونِ إلى الدَّعة، والإصْرارِ على الإعراض

وترشدُ هذه الآيةُ الكريمةُ والّتي تعقبها: إلى حرمة الغفلةِ، والحذرِ منَ السُّدورِ في الغيِّ، والانغماسِ في اللّهو، وتهدي إلى لزوم الذّكر صباحَ مساءَ، والانسياقِ إلى عزائم الطّاعاتِ، وصَفوِ النَّفحاتِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الفصلِ بالاستفهام:

أنكر عليهم جنوحَهم إلى الدَّعَة والغفلة برغم سوء مرتكباتهم

أعادَ تعالى التّهديدَ بعذاب الاستئصالِ، فقال: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾، وافتُتِحَ بالاستفهام اعتناءً؛ لأنّ له صدرَ الكلام، وهو استفهامٌ بمعنى الإنكارِ عليهم، والوعيدِ[1]، وتذكيرِهم، وتنبيههم، فهو استفهامُ تنديدٍ بفعلتهم، فهم غيرُ آمنين، لكن حالهم توهِم أنّهم أمِنوا، فالله تعالى ينبّههم إلى أنَّه أمانُ الغافل الّذي لا يعرفُ أنّه يعاندُ الله[2]، أو لإنكار الواقعِ واستقباحه، أو لإنكار الوقوعِ ونفيه، أو بمعنى التّوبيخ، ومدارُه أمنُ كلِّ طائفةٍ ما أتاهم منَ البأس لا أمنُ مجموعِ الأممِ، ويُظهرُ هذا المعنى التّصريحَ بالمظهر ﴿أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ بدلَ إضماره[3].

تكذيبُهم النّبيَّ أمارةُ الغرور، ومدعاةٌ للعجب

(أوَ) بمعنى التّعجيبِ المترتِّبِ على حكاية تكذيبهم وأخذهم، واستفهامُ التّعجيبِ هو من غرورهم وأمنهم غضبَ القادرِ العليمِ[4]، بتصرّفٍ ليس من شأنه أن يقعَ منَ العاقل[5].

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/322.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/2908.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/11.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/432.
(5) رضا، تفسير المنار: 9/25.

وقد يكون الاستفهامُ على جهة التّوقيفِ والتّوبيخِ والإنكارِ والوعيدِ للكافرين المعاصرين للرّسول ﷺ أن يَنزِلَ بهم مثلُ ما نَزَلَ بأولئك[1].

يتعدّى الإنكارُ القومَ الجاحدين

دلالةُ حرفِ الفاء:

(الفاء) في قوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ عاطفةٌ أفادَت التّعقيبَ مع السّبب، والتّرتّبَ الذّكريَّ، فإنّه لمّا ذكرَ من أحوالِ جميعهم ما هو مثارُ التّعجيبِ من حالهم أعقبَه بما يدلُّ عليه معطوفًا بفاء التّرتّبِ، ومحلُّ التّعجيب هو تواطؤُهم على هذا الغرور[2].

ذكـرُ حالـهـم مـسـتـتـبـعٌ لا محالةَ العجب منهم

وتحتملُ الفاءُ العطفَ على محذوفٍ تقديره على الوجه الأوّل: أغرَّ أهلَ تلك القرى ما كانوا فيه من نعمةٍ حين كذَّبوا الرُّسلَ، فأمنوا أن يأتيهم بأسُنا؟ إلخ، وعلى الثّاني: أجَهِلَ أهلُ مكّةَ وغيرها منَ القرى الّتي بلغَتها الدّعوةُ - ومثلها مَنْ ستبلغُها - ما نزلَ بمَن قبلهم، وغرّهم ما هم فيه من نعمةٍ، فأمنوا أن يأتيهم عذابُنا وقتَ بياتهم - أو إتيان بيات - وهو الهجومُ على العدوّ ليلًا، وهو بائت؟[3].

وتحتملُ الفاء أيضًا الاستئنافيّة؛ ذلك أنَّ ألفَ الاستفهام دخلَت على فاء العطفِ مع منافاة العطفِ للاستئناف، فهي مُقحَمةٌ؛ لتقرير معنى الإنكارِ أو التّقريرِ، فتدخل بين الشّرط والجزاء والمبتدأ والخبر والحال وعاملها[4]. وتوسّطُ الهمزة بين الكلامين المتعاطفين لإفادة إنكارِ جمعِ الثّاني مع الأوّل، أو وقوعه بعده متراخيًا، أو غيرَ متراخٍ[5]، ووجهُ العطف أقربُ.

توجيهُ الاعتراضِ في الآية:

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ إلى ﴿يَكْسِبُونَ﴾ وقع اعتراضًا

المـــرادُ عـمـومُ القرى، أو مكّةُ وما حولها

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/350.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/432.
(3) رضا، تفسير المنار: 9/25.
(4) الطّيّبيّ، فتوح الغيب: 6/478.
(5) السّيوطيّ، نواهد الأبكار: 3/430.

بين المعطوف والمعطوف عليه[1]، فيشمل المعنى عمومَ القُرى، وقيل: المرادُ بالقُرى: مكّةُ وما حولها؛ لأنّهم كذّبوا النّبيَّ محمّدًا ﷺ،[2] فيكون العطفُ على الآيةِ الأقربِ في هذه الحالةِ أنسَبَ[3].

ويترجَّحُ العطفُ على الأوّل، وهو قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: 91]؛ لأنّ مَساقَ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ إلى ﴿يَكْسِبُونَ﴾ مساقُ التّكرير والتّأكيد، فهو إلى جملة الاعتراضِ أقربُ، بخلاف ما قبله، فإنّه لبيانِ حالِ القرى وقصّةِ هلاكِها قَصدًا، فالعطفُ عليه أنسبُ، وإن كان هذا أقربَ[4].

إيثارُ التّعبيرِ بلفظ ﴿بَيَٰتًا﴾:

من أشدّ العذابِ الـواقـع وقـت الغفلة والمأمن

و﴿بَيَٰتًا﴾ نصب على الظّرف بتقدير مضاف؛ أي: وقت مبيتهم باللّيل، ويحتملُ أن يكونَ هذا في موضع الحال[5]، وذلك وقتُ الغفلةِ والنّوم، فمجيءُ العذاب في ذلك الوقت، وهو وقتُ الرّاحةِ والاجتماعِ، في غاية الصّعوبة؛ لكونه أتى وقتَ المأمنِ[6]، ويجوزُ أن يكونَ مصدرَ بَيَتَ، أو باتَ، ونصبه على أنّه مفعولٌ مُطلَقٌ لـ ﴿يَأْتِيَهُم﴾ مُبيِّنًا لنوعه، فمرادُهُ التّوكيدُ.

بلاغةُ حاليّةِ الفاصلة:

بيـانُ حالـهـم شـدّةُ الغفلة، والـرّكـونُ إلى الـدَّعـة، وكـونُ أخذِهم على غِرَّة

جملة: ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ حالٌ من ضميرهم البارز أو المستتر في ﴿بَيَٰتًا﴾؛ لتأويله بالصّفة كما سُمِعَت، وهو حالٌ متداخلةٌ حينئذٍ (المفرد، والجملة)، أو أمن أهل القرى إنكارًا بعد إنكارٍ للمبالغة في التّوبيخ والتّشديد، ولم يقصدِ التّرتيبَ بينهما، فلذا لم يُؤتَ بالفاء[7]،

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/134.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/253.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/12.
(4) السّيوطيّ، نواهد الأبكار: 3/430.
(5) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/432.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/351.
(7) الآلوسي، روح المعاني: 9/12، والسّيوطيّ، نواهد الأبكار: 3/430 - 431.

فقوله: ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ حالٌ مُبيِّنةٌ لغاية الغفلةِ وكونِ الأخذِ على غرّةٍ، كما قال فيمَن عُذِّبوا: فأخذناهم بغتةً[1].

بلاغةُ الاستعارة في الآية:

في الاستعارة بيانٌ لشدّة العذاب، وعِظَمِ العقاب

في ألفاظ (البأس، والبيات، والإتيان) استعارةٌ تحريرُها في الآتي: إذا كان المُرادُ منَ البأس الاستعارةَ لشدّة الحَربِ، كما أنّ المُرادَ منَ البيات حالةٌ من حال الحَربِ، هي أشدُّ على المغزوّ، فكان ترشيحًا للاستعارة التّمثيليّة[2].

واستُعيرَ الإتيانُ لحدوث الشَّيءِ وحصولِه بعد أن لم يكن؛ تشبيهًا لحلول الشّيءِ بوصول القادم من مكانٍ إلى مكانٍ بتنقّل خطواته[3]؛ تنقُّلًا يزيلُ معه العوائقَ، وهو معنى يتضمّنُ الفجأةَ، والمباغتةَ بشديد.

علّةُ التّعبيرِ عنِ الإتيان بالمضارع:

التّعبيرُ عنِ الحدث وكأنّه مُشاهَدٌ فيه تفكُّرٌ وعِظةٌ واستغرابٌ وتعجّبٌ من كفر أهل القرى

جاء فعلُ الإتيانِ بصيغة المضارع؛ لأنّ المرادَ حكايةُ أمنِهم الّذي مضى من إتيان بأسِ اللّه في مستقبل ذلك الوقت[4]، وفيه استغرابٌ وتعجُّبٌ من كفر أهلِ القرى رغم مشاهدتِهم لآيات اللّهِ وبعثةِ رسولِه.

بلاغةُ الإطنابِ في الآيات:

مواطنُ التّنبيهِ مظنّةُ التّكرار والتّوكيد

في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ إطنابٌ، غرضُهُ الموعظةُ من خلال توكيد المعنى وتثبيته في النّفس[5].

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 9/25.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/21.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/21.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/21 - 22.
(5) المراغيّ، علوم البلاغة، ص: 201.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»